

## الملاحم الثورية في الحرب العربية - الاسرائيلية الرابعة

المقدم الهيثم الايوبي

« تكون الحرب كما يكون القائد الذي يقودها ، وكما تكون النظرية التي تحكمها »  
( كلاوزفيتز )

يعتقد القادة العسكريون الذين يخوضون الحروب انهم غدوا خبراء في العلم العسكري ، وان تجربتهم العملية في مسارح العمليات أو في غرف هيئات الأركان تسمح لهم بتقنين الأحداث التي عاشوها ، وتحليل المعارك التي شهدوها ، واستخلاص القواعد والاسس والمبادئ ، والوصول في بعض الحالات الى صياغة « القوانين » . ثم يركز هؤلاء القادة بعد ذلك على استنتاجاتهم ، ولحاح الضوء التي رأوها من خلال دخان المعارك ، ويصيغون عقيدة عسكرية تعدل عقيدة الحرب السابقة ، ويعتقدون ان الحرب ستجرى على هديها في المستقبل ، ويعدون قواتهم المسلحة وخططهم لتتلاءم مع العقيدة الجديدة التي تمتاز فيها توقعات المستقبل مع التجربة الذاتية بكل ما فيها من سلبيات وإيجابيات .

وتتبلور العقائد في فترات الهدوء بين الحروب وتترسخ ، وكلما طالت فترات الهدوء ازداد تمسك القادة بالعقائد التي وضعوها ، وازداد تلاؤم القطعات وقادة الوحدات الصغرى مع الاساليب القتالية المنبثقة عنها . وتتكون مع مرور أعوام السلم حالة ذهنية معينة وتصور خاص للحرب المقبلة ، وقد تتعرض هذه الحالة وذاك التصور لبعض التعديلات الناجمة عن المخترعات والابتكارات ، ولكنها تبقى تعديلات جزئية ، نظرا لان المؤسسة العسكرية في جميع البلدان هي اقل المؤسسات قدرة على التطور الشامل السريع ، واكثرها تعلقا بالتقاليد والافكار المسبقة . « لان رجال الدولة والقادة العسكريين - كما يقول الجنرال فولر - متخلفون عادة عن العلماء بما يعادل جيلين » (١) . ويتعارض هذا الامر مع التطورات السريعة التي تتعرض لها النشاطات الانسانية في جميع المجالات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والعلمية . ويبدو هذا التعارض كبيرا خطير النتائج في عصرنا ، عصر التحولات السريعة والمفاهيم المتبدلة ، لانه يجعل المؤسسة العسكرية ، المبنية وفق أسس معينة والمستعدة لخوض حرب تقليدية (٢) تلائم ظرفا سابقا ، تشتبك في القتال في ظروف جديدة غير متوقعة ، أو متوقعة جزئيا ، وتتعرض من جراء ذلك لكثير من المفاجآت الاليمة أو الكارثوية .

ويقل حجم هذه المفاجآت ولا شك كلما ازدادت قدرة القيادات العسكرية على التوقع والابداع والعمل بخيال واسع ، بيد أن ضخامة عدد العوامل التي تؤثر على الحرب وتطبعها بطابعها ، وسرعة تحول هذه العوامل ، وظهور عوامل جديدة باستمرار تعطي عملية التوقع والخيال حجما معينا لا تتجاوزه الا اذا كان في قيادة القوات المسلحة عبقريات عسكرية نادرة ( نابليون ، ديغول ، ماوتسي تونغ ، جياب ، غودريان ، رومل ) قادرة على استششاف المستقبل من دراسة الماضي والحاضر واتجاه حركة التطور المستقبلية بكل جوانبها ، والاعداد لمعركة الغد وفق معطيات الغد المتوقعة .